HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة

عنوان البحث

الإصلاح بمغرب القرن التاسع عشر: المفهوم والمصادر

البشير البونوحي[1]

[1] استاذ مكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بجهة كلميم واد نون
الهاتف: 00212661084415 البريد الالكتروني: eelbounouhi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/12م تاريخ النشر: 2020/11/01م

المستخلص

لقد اقترن الاصلاح داخل المجتمعات الاسلامية بمحاولة الرجوع الى الأصل، غير أن واقع هذا المفهوم لا يبرره الا واقع الممارسة العربية الاسلامية فكرا وسلوكا، فهو مرتبط أساسا بمسألة السلطة السياسية في هذه المجتمعات. خصوصا وأن القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين شهدت المنطقة العربية عامة والمغرب خاصة محاولات جادة للإصلاح جعلت المثقف المغربي وزعماء السلطة يصبون جهودهم في البحث عن امكانية الاقتباس من الغرب، أو اللجوء الى الشرق خصوصا بعدما أصبحت ظروف المغرب تحتم القيام بالإصلاح، وبالتالي تعددت مصادر هذا المفهوم بين ما هو داخلي وخارجي.

لذلك كان الخطاب الاصلاحي المغربي يتنازعه الانفتاح والانغلاق على أوربا، فدعاة الإصلاح لم يبدوا ممانعة في الاقتباس من أوربا للقيام بالإجراءات التحديثية ولكنهم في ذات الوقت أبدوا خوفهم من النتائج السلبية التي يمكن أن تترتب عن الانفتاح على الغرب والاقتباس منه، مما جعلهم في أحايين كثيرة يظهرون نفورهم من المدنية الأوربية، والواقع أن هذا التنازع يشكل إحدى الثوابت الأساسية فى الخطاب الإصلاحى المغربى.

الكلمات المفتاحية: الاصلاح – الحداثة – القرن التاسع عشر – مصادر الاصلاح.

RESEARCH ARTICLE

REFORM IN THE 19TH CENTURY MAGHREB CONCEPT AND RESOURCES

Al-Bashir Al-Bounouhi[1]

[1] A professor in the regional center for training and training in the Guelmim Oued Noun region, Morocco
Phone: 00212661084415
Email: eelbounouhi@gmail.com

Received at 12/10/2020 **Published at 01/11/2020**

Abstract

Reform within Islamic societies has been linked to an attempt to return to the original. However, the reality of this concept is only justified by the reality of the Arab Islamic practice of thought and behavior. It is essentially linked to the question of political power in these societies. Especially since the 19th century and the beginning of the 20th century, the Arab region in general and Morocco in particular witnessed serious attempts of reform that made the Moroccan intellectual and the leaders of the authority direct their efforts in the search for the possibility of quoting from the West. Or resorting to the East, especially after the circumstances of Morocco made it imperative to carry out the reform, and therefore the sources of this concept varied between the internal and external.

Therefore, the Moroccan reformist discourse was contested by openness and closure to Europe. The advocates of reform did not appear reluctant to quote from Europe to carry out modernization measures, but at the same time they expressed their concern about the negative consequences that could result from openness to the West and quoting from it. In many cases, this made them show their aversion to European civility, and in fact this conflict constitutes one of the fundamental tenets of the Moroccan reformist discourse.

Key Words: reform, modernity, the 19th century, sources of reform.

تقديم

عرف موضوع الإصلاح خلال السنوات الأخيرة اهتماما ملحوظا ومتزايدا من خلال مجموعة من الأعمال كالندوة المنعقدة تحت عنوان الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر[1]، كما يبرز هذا الاهتمام في الرسائل الجامعية التي أنجزت[2]، وكذلك في المقالات المنشورة بالمجلات والدوريات[3]. مما يعني أن الإجراءات الإصلاحية التي باشرها المخزن المغربي في القرن 19م ومطلع القرن 20 م والأفكار التي نادى بها دعاة الإصلاح مازالت في حاجة إلى التمحيص.

والتفكير في الإصلاح يفرض نفسه بإلحاح كلما اعترضت المجتمع صعوبات معينة فيقوم المفكرون بتحليل أسباب نجاح أو إخفاق التجارب الإصلاحية الماضية. وبالأخص القريبة منهم زمنيا بقصد تجنب أخطاء الماضي في الحاضر. وكذلك الأمر بالنسبة للخطاب الإصلاحي لمعرفة قدرته على تقديم بدائل أو مقترحات قمينة لمواجهة الصعوبات.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية الموضوع في كون الإصلاح والمشاريع الإصلاحية المقترحة خلال القرن التاسع عشر خصوصا النصف الثاني منه كثر الحديث عنها، لكن لا يمكن الحديث هنا عن خطاب إصلاحي في هذه الفترة دون البحث عن مصادر هذا الإصلاح سواء الداخلية أو الخارجية. فمغرب القرن التاسع عشر تميز بحركة إصلاحية واسعة من مختلف مستويات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. هذه الحركة فرضتها عوامل داخلية وخارجية تمثلت في الاحتكاك العنيف والصدام المباشر مع الآخر/الغرب، الذي تمكن من خلخلة موازين القوة لصالحه ورج بعنف الصورة القوية التي اكتسبها المغرب عبر تاريخه الطويل، كما كانت حركة الإصلاح التي شهدها المغرب خلال هذا القرن وليدة أسباب وعوامل داخلية تمثلت في حدة الشعور بالخطر الخارجي الداهم والرغبة في تجاوز البعد والإقصاء من مسرح التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفها العالم.

أهداف البحث:

ان أهداف هذا البحث تكمن في:

- معرفة معنى الاصلاح ومفهومه.
- الاحاطة بمعنى الاصلاح في الفكر العربي الاسلامي وأهم رواده.
- التعرف على الاصلاح في الفكر المغربي.
- معرفة الوعي الاصلاحي للمثقف المغربي خلال القرن 19 م.
- دواعي الاصلاح بمغرب القرن التاسع عشر داخليا وخارجيا.
- رصد طرق تعامل المغرب مع التفوق الأوربي والحداثة المرافقة له.

اشكالية البحث:

---

[1]– ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، كلية الآداب بالرباط، ما بين 20 و23 أبريل 1983، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1986.

[2]– من هذه الرسائل:

– عثمان أشقرى، سوسيولوجيا الخطاب الإصلاحي بالمغرب (1907–1934).

– ثريا برادة، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.

– أحمد العماري، نظرية المواجهة والتحديث في خطاب الاستعداد ضد التغلغل الأوربي عند علماء المغرب في القرن التاسع عشر.

[3] – أنظر مثلا:

– مجلة كلية الآداب (الرباط)، ع8،ع9، 1982.

– مجلة كلية الآداب (فاس)، ع2، "خاص"، 1985.

– مجلة دار النيابة (طنجة)، ع1، 1984.

تتحدد اشكالية الدراسة في سؤال يفرض نفسه على المهتمين بتحليل منطق الدعوة الإصلاحية في المغرب ومضمونها وهو: هل كان الإصلاح دعوة إلى نموذج معياري إلى "أصول" لم تفسدها البدع. أم كان اندماجا مكيفا (تكيفا إسلاميا) في نظام الحداثة ذي المصدر الأوربي؟

أسئلة البحث:

- ماذا نعني بالإصلاح؟ وأهم رواده؟
- ما طبيعة الاصلاح في الفكر العربي الاسلامي والفكر المغربي؟
- كيف تعامل المثقف المغربي مع الاصلاح خلال القرن التاسع عشر؟
- ما هي دواعي الاصلاح بالمغرب؟
- كيف تعامل المغرب مع الحداثة الأوربية؟

منهج البحث:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي.

خطة البحث:

جاء البحث مكون من تقديم ومبحثين، الأول بعنوان: مفهوم الاصلاح، والثاني بعنوان: مصادر الاصلاح. ويتضمن كل مبحث مجموعة من الفصول.

المبحث الأول: مفهوم الإصلاح.

مفهوم الإصلاح مفهوم يمكن أن يكتسي عدة معان مختلفة، فهو تغيير أو إصلاح ويمكن أن يكون تغييرا أو إصلاح ويمكن أن يكون تغييرا أو إصلاحا وثورة ومحاكاة[4]. هذا المفهوم "الإصلاح" ينطوي في حد ذاته على دلالات واسعة ومتداخلة في الوقت نفسه، وقد يعني التحديث أو التجديد[5].

تعدد المفاهيم التي استعملها المفكرون للدلالة على الإصلاح من الضروري الوقوف عليها كي نتمكن من فهمها بشكل جيد، ومعرفة ما إذا كان تداول هذه المفاهيم في المغرب قد تماثل مع تداولها في الشرق العربي الإسلامي.

1 . الإصلاح في الفكر العربي الإسلامي.

اقترن الإصلاح داخل المجتمعات الإسلامية بمحاولة الرجوع الى الأصل أي السلف الصالح بهدف إعادة الدين إلى نقائه الأصلي وتخليصه من البدع والانحرافات التي تعرض لها على مر القرون. فالإصلاح بهذا المعنى لا ينظر إلى المستقبل بقدر ما يحاول الاقتراب من وضع مثالي يوجد فيما سبق من الأزمان، ذلك أن المفهوم الإسلامي للإصلاح ينطلق من اقتناع أساسي وهو أن أفضل الأزمنة هو زمن الرسول وصحابته، وبقدر ما يبتعد الناس عن هذا الزمن بقدر ما يبتعدون عن الإسلام المثالي أو المعياري. فالإسلام الأمثل والنموذج القدوة يوجد في الماضي، ولم تخرج حركة من الحركات الإصلاحية في الإسلام عن هذه القاعدة[6].

إذن فالإصلاح كمفهوم وبالشكل الذي يبرره واقع الممارسة العربية الإسلامية فكرا وسلوكا، قديما وحديثا – هو مرتبط تحديدا

---

[4]– ابراهيم بوطالب، إستخلاصات عامة عن مفهوم الإصلاح في القرن التاسع عشر، ضمن ندوة الإصلاح والمجتمع، المغربي في القرن التاسع عشر، كلية الآداب بالرباط، ما بين 20 و23 أبريل 1983، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1986، ص: 416.

[5]– خالد بن الصغير، "المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر (1856–1986)" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل واطروحات رقم 94، مطبعة النجاح الدار البيضاء، ط2، 1997.، ص:318.

[6]– محمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار، "المجتمع والدولة والدين 1792–1822"، ترجمه عن الانجليزية محمد حبيدة، ط1، 2006، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص: 214.

بمسألة السلطة السياسية في المجتمعات العربية الإسلامية، وبهذا المنظور فهو يراد به حسب عثمان أشقرا – نوع من إرادة الدولة والمجتمع الإسلاميين الأصليين اللذين انقضيا إلى غير رجعة، وبالتالي فكل إصلاح في هذا السياق هو ضرورة فكر وسلوك منقسمان بين القبول والرفض[7].

لفظ الإصلاح عند علي مراد هو لفظ يكتنفه الغموض واللبس[8]، وهو يعني في الأدبيات الإسلامية المعاصرة الإصلاح الأرثوذكسي (Reformisme orthodox) كما تجلى من خلال تعاليم محمد عبده وكتابات رشيد رضا وغيرهما من المؤلفين المسلمين الذين ينعتون بالسلفيين[9]، مما يجعل الإصلاح مرتبطا بالمصادر الإسلامية الأولى، وبناء على ذلك لا يمكن أن يدرس الإصلاح في علاقته مع التيارات الفكرية التي ظهرت في العالم الإسلامي في بداية الحقبة المعاصرة فقط، لأن الإصلاح هو بمثابة معطى دائم في التاريخ الديني والثقافي للإسلام، ما دام الإصلاح يمثل استجابة لما ورد في القرآن الكريم بخصوص "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[10].

الإصلاح بين المشرق والمغرب اختلف في الزمان باختلاف المذاهب السائدة، فمما لا شك فيه أن سيادة المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي كانت في مقدمة العوامل التي حالت دون ظهور اتجاهات مذهبية وعقائدية متنوعة كما كان الحال بالنسبة للمشرق[11]، ونجد الدعوة إلى الإصلاح في ارتباطها بالإسلام عند المفكرين العرب المسلمين ومن ضمنهم خير الدين التونسي الذي استعمل كثيرا مفهوم التنظيمات، وأحيانا مفهوم الاستعداد، أما مفهوم الإصلاح فلم يرد عنده إلاّ نادرا.

التحديث يعتبر شرطا أساسيا للإصلاح حسب المفهومان السابقان (التنظيمات والاستعداد) وأيضا لمواجهة التدخل الأوربي، وهو ما يلمس من قوله "لا يحصل بدونها – أي المخترعات – الاستعداد الواجب شرعا ... وبناء على ذلك، يقال هنا، هل يمكننا اليوم الحصول على الاستعداد المشار إليه بدون تقدم في المعارف وأسباب العمران المشاهدة عند غيرنا، وهل يتيسر ذلك التقدم بدون إجراء تنظيمات سياسية تتناسب والتنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا؟"[12] مبينا أن التنظيمات باعتبارها إجراءات تحديثية تتوافق كليا مع الشرع[13]، وقد ورد عن خير الدين التونسي مفهوم الإصلاح في صيغة عامة بدون أن يشير بكيفية واضحة الى التحديث كما جاء في قوله: ".... أن مقصد المسلمين من أهل الحزب المذكور إنما هو إصلاح حال الدولة والرعية"[14].

أما أديب إسحاق الذي ليس بكاتب مسلم ولكنه أحد تلامذة جمال الدين الأفغاني، فإنه كان من أكثر المفكرين العرب استعمالا لمفهوم الإصلاح في مقالاته الصحفية، حيث ارتبط ذلك الاستعمال عنده بالتنظيمات التي أجرتها الدولة العثمانية تحت ضغط الدول الأوربية فالسلطان العثماني "وطن النفس على إنقاد أحكام المؤتمر، مؤتمر برلين، وإجراء الإصلاح في بلاده"[15]، واعتبر أن تعريف الإصلاح أمر عسير من جهة، وله طابع شمولي من جهة ثانية "الإصلاح فيما نحن بصدده مطلق لا يكاد يقف عند حد ولا ينتهي إلى تعريف...، فهو كلي عميم بقدر كلية الخلل وعموم الحاجة، فحيث ترى نقصا أو ضعفا أو اختلالا أو اعتلالا أو اعوجاجا أو وضعا للكمال فهناك محل إصلاح"[16].

---

[7]– عثمان أشقرا، "في سوسيولوجيا الفكر المغربي الحديث"، ط 1، 1990 الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ص: 154.

[8] – merad A, La dualité réformisme – modernisme, actes du colloque « réformisme et societé marocaine au 1978 » P436.

[9] – Merad A, Islah, Encyclopédie de l'islam, T4, 2 Ed, moisonneuve Larose, paris 1978,P: 146.

[10] – Ibid,P: 147.

[11] – محمد المنصور، المغرب قبل الإستعمار...، م، س. ص: 214.

[12] – خير الدين التونس، مقدمة أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك. تحقيق معن زيادة. ط 1، دار الطليعة، بيروت 1978, ص: 115.

[13] – نفسه، ص: 149.

[14] – ن. م. ص: 150–151.

[15] – أديب إسحاق، الكتابات السياسية والاجتماعية، جمعها وقدم لها ناجي علوشي، ط1، دار الطليعة، بيروت 1978، ص: 122.

[16] – نفسه، ص: 128.

بيد أن الإصلاح لم يكن يفيد دائما معنى التجديد أو التحديث، فقد يحيل على الماضي الإسلامي كما ورد عند محمد عبده في قوله: "لما كان الإصلاح الذي يقصد المولى –عبد العزيز– إنما يتم برعاية الدين والرجوع إليه في كتابه المبين وسنة صاحبه الأمين، ثم النظر في أقوال وأعمال السلف الصالحين لتعرض على ذلك كله أعمال الخلق المحدثين[17].

لكن الإصلاح أحال عند نفس المفكر على التحديث كما يتبدى من قوله: "إن أول ما يجب أن يبدأ به، التربية والتعليم لتكوين رجال يقومون بأعمال الحكومة النيابية ... وحمل الحكومة على العدل والإصلاح[18].

هذه النظرة المزدوجة للإصلاح نجدها كذلك عند رشيد رضا، (وهو تلميذ محمد عبده)، حيث أبرز البعد التقليدي والبعد التحديثي في الخطاب الإصلاحي لأستاذه محمد عبده على النحو التالي: "ولا شك أن الحزب الذي كان يرأسه الأستاذ الإمام لا غرض له إلا إزالة البدع والأوهام التي ألحقت بالدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا، ومن أركان الإصلاح الذي يرمي إليه أخذ كل ما ينفعنا ولا يعارض من ديننا من علوم أوربا ومدينتها".

وعلى طول القرن 19م وحتى بداية القرن 20م شهدت المنطقة العربية محاولات جادة للإصلاح نذكر منها على سبيل المثال: الشهابية في لبنان، دولة محمد علي الكبير في مصر، داوود باشا في العراق، الوهابية في نجد، السنوسية والمهدية في ليبيا والسودان، قادها رجال سياسة مثل محمد علي الذي هزأ كثيرا بكتاب الأمير لميكيافيللي[19]، وداوود باشا ورجال فكر مثل محمد بن عبد الوهاب والأفغاني وآخرين.

وصبت جهود المفكرين والزعماء العرب في مجموعة من الظواهر كالبحث في إمكانية اقتباس المنجزات الأوربية خاصة وأن عند الفرنجة أشياء يقبلها العقل كما يقول الطهطاوي مع الوفاء للأصل المسلم، أي المزج بين سلفية الدين وتجديد العقلانية[20]، وتبرير هذا الاقتباس إزاء التيار الجماهيري التقليدي المحافظ[21]. إضافة إلى محاولة التعرف على تاريخ الفكر والحضارة الأوربية في محاولة للبحث عن إمكانية النهضة[22].

بناء على النماذج السالفة، يمكن القول بأن الإصلاح في الكتابات العربية الإسلامية لم يرد بمعنى واحد، فقد أفاد أحيانا التحديث أو العصرنة أو التجديد[23]، ووظفت مفاهيم للدلالة عليه وهي التنظيمات والاستعداد، واستعمل الإصلاح ليفيد الرجوع إلى المصادر الإسلامية متمثلة في الكتاب والسنة وأعمال السلف الصالح، وفي استعمال ثالث كانت الدعوة إلى الإصلاح تجمع بين المطالبة بالتحديث والعودة إلى التجربة الإسلامية.

ومن هنا نجد أن كل دعوة للإصلاح هي حملة على التقليد لكن بشرط فهم معناه الإسلامي "فالتقليد" هو اقتداء خاطئ ويبعد عن الإسلام– الأصل– وبالتالي فهو تحريف "الأصل" أي للإسلام[24]. من هنا نفهم لماذا كان دائما المنطلق الأساسي لكل دعوة إصلاح إسلامية هو الرد إلى "إسلام الفطرة"[25].

---

[17] – محمد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق: محمد عمارة، ج2، ط1، بيروت، 1972، ص: 370.

[18] – نفسه، ص: 316.

[19] – جلال أحمد أمين، المشرق العربي والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، حزيران 1980، بيروت، ص: 32.

[20] – ألبرت حوراني، الفكر العربي عصر النهضة 1798 – 1939، ترجمة: كريم عزقول، ط 3، 1977م، دار النهار، بيروت، ص: 89 – 485.

[21] – أنظر هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، ط 2، 1978، دار النهار بيروت، ص: 35.

[22] – تركي علي الربيعو، قراءة في النسق السياسي والفكري لرواد عصر النهضة، السنة الثالثة، ع 32/31 نيسان (أبريل/ أيار (مايو)1987، شعبان/ رمضان 1407هـ، ص: 76.

[23] – بين محي الدين صابر أن "التحديث يعني بالضرورة العاصرة، ويعني التجديد في مجال كمجال الفكر والثقافة فإنه يعني الانفتاح"، مجلة الوحدة، ع 1، 1980، ص: 54.

[24] – علي أومليل: "ما هو الإصلاح بمفهوم إسلامي"، ضمن ندوة الإصلاح والمجتمع..، م،س، ص: 22.

[25] – نفسه، ص: 23.

2-الإصلاح في الفكر المغربي.

لقد دخلت فكرة الإصلاح مجال التداول النظري في المغرب الحديث منذ مستهل القرن 19م، فتداول هذا المفهوم بالمغرب ثم توظيفه كاستعداد لمواجهة التحديات التي واجهته خلال القرن 19م.

فالإصلاح دائما يكون حسب المنطق المعهود، أي إرجاع الحافز إليه إلى خلل داخلي حل بالأمة وتفسير هذا الخلل بالخلاف، أي افتراق المسلمين فرقا متصارعة والتماس الحل في توحيد الدين والسياسة، وطريق هذا كله العودة إلى الإسلام الأصل[26].

وعرف الإصلاح نموا في كثافة الاستعمال بدءا من العقد الرابع غداة هزيمة ايسلي (1844م)، مع العلم أن اليوسي أبو الحسن مسعود (ت 1102هـ/1690م) انفرد بأنه كان أول داعية للإصلاح السياسي في العصر العلوي، مثلما برز كأول مفكر في هذا العصر عالج الانحرافات الدينية والاجتماعية، ولم تكن الفكرة الإصلاحية وليدة القرن التاسع عشر للميلاد، ولا هي انتظرت التغلغل الأوربي إلى داخل البلاد وفي كل المستويات لتنبت بذرتها وتنمو، فاليوسي أول داعية للإصلاح خاطب السلطات بغاية الصراحة بل بجرأة نادرة[27].

يحمل مفهوم الإصلاح شحنة دينية واضحة انطلاقا من الآية الكريمة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)[28]، أي اتخاذ كافة التدابير الكفيلة بمقاومة التدخل الأوربي أو ما يعني عند الفقهاء الجهاد ضد أعداء الدين[29]، ويتضمن الاستعداد، الاقتباس من منجزات المدنية الأوربية وبالأخص في المجال العسكري، لكن البعض وسع نطاقه ليكون أكثر شمولية كما يبدو من خطاب محمد السليماني "ولا استعداد في هذا الزمان إلا بالاطلاع على ما عند الأمم الراقية في معارج الحضارة"[30]، فيصبح الاستعداد هنا مرادفا بشكل تام لعملية التحديث المعتمدة على الاقتباس من أوربا، ويشكل شرطا أساسيا لمواجهة التحدي الأوربي، وقد يشمل الاستعداد، تجنب البدع والأخلاق الفاسدة والرجوع إلى أخلاق السلف الصالح.

هناك مفهوم آخر للدلالة على عملية تجديد الهياكل والمؤسسات على النمط الأوربي، وهو مفهوم التنظيمات الذي شاع تداوله في المناطق العربية الإسلامية الخاضعة للنفوذ العثماني كما هو الشأن عند خير الدين التونسي، ولكن لم ينتشر استعماله بالمغرب كثيرا. فنجد محمد المشرفي قد وظف هذا المفهوم خلال حديثه عن الإصلاحات التي اقترحتها إنجلترا على السلطان مولاي عبد العزيز الذي "وجه لنائبه بطنجة الحاج الطريس وكاتبه بناصر غنام ليستشير معهما على ما قيل في أمر إجراء التنظيمات واقتراض المال من الأجانب لإصلاح القناطر والطرقات"[31] وهذا الإصلاح يتعلق بالجانب التقني. واستعمل أحمد الناصري "الإصلاح" بالمعنى التقني أيضا حينما تحدث عن بعض منجزات السلطان الحسن الأول: "ولما أحل السلطان أعزه الله بالدار البيضاء طاف في أبراجها... ثم اجتاز بعد الفراغ على باب المرسى ومحل وضع السلعة للتجار بها فوقع عليه وتأمله... ووعد بإصلاح المدن على شاطئ البحر"[32].

الناصري كان له اهتمام بالإصلاحات التقنية، فقد عاصر أغلب دعاة الإصلاح في الشرق، ويبدو أن أصداء الأفكار الإصلاحية كانت تصله عبر الصحافة إذ كان له اهتمام بتتبع ما تنشره في مجال العلوم والمخترعات، كما كان يتتبع ما تنشره

---

[26] – محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، نشر افريقيا الشرق، 1991، الطبعة الأولى، ص: 83.

[27] – إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط 2، 1994، الدار البيضاء، .ص: 114-115.

[28] – قرآن كريم، سورة الأنفال، الآية: 59.

[29] – ورد عند علي التسولي: ".. فحرضوا أنفسكم وأشياعكم عليه – أي الجهاد– ... وأكثروا من الأهبة والنفر إليه وبادروا له بغاية الاستعداد... إن الله سبحانه أمرنا بالغلظة عليهم والتقوى وكثرة الاستعداد"، جواب على سؤال الأمير عبد القادر، م،خ ،ع، الرباط ،D1198 ورقة: 158-159.

[30] – محمد السليماني، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، مطبعة الأمنية، ط 1، الرباط 1971. ص: 6.

[31] – محمد المشرفي: "الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية"، م،خ،ع، بالرباط D1463، ص: 438.

[32] – أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ، ج 9 ، ط 2 ، دار الكتاب الدار البيضاء، ص: 150-151.

الصحف الفرنسية والإسبانية عن طريق الترجمة[33].

ونجد نفس الأمر عند محمد السليماني حينما تحدث عن المقترحات الأوربية بشأن إدخال الإصلاحات إلى المغرب، "ولما استحكمت الفوضى، وأشرفت الأمور على الانحلال، وجدت الدول ذات المصالح بالمغرب السبيل لطلب الإصلاح بشدة الإلحاح، واقترحت على حكومة المغرب، بث النظام ونهب ميزان العدل وفتح الطرقات بين العواصم لتسهيل المواصلات"[34]. مصطلح الإصلاح عند السليماني ورد كذلك في قوله "اهرعوا للدفاع عن وطنكم، إن الوطن بالفضائل يحيى وبالرذائل يفنى ... فحيا على الاتحاد حيا على الإصلاح حيا على الفلاح"[35]، منتقدا بذلك الرافضين لهذا الإصلاح، "إن أكثر أبناء زماني مهما سمع مقالات اقتصادية أو شذور إصلاحية أو مباحث اجتماعية مجها ذوقه وزاد حنقه وتصاعدت زفراته"[36].

مهما يكن من غياب التوضيح لدا هؤلاء لمفهوم الإصلاح إلا أنهم تداولوه في كتاباتهم منفتحين وراغبين في إصلاح بلادهم وأحوالها.

إن السؤال الذي يفرض نفسه على الباحث وهو يفكر في منطق الدعوة الإصلاحية في المغرب ويحلل مضمونها هو: هل كان الإصلاح دعوة إلى نموذج معياري إلى "أصول" لم تفسدها البدع. أم كان اندماجا مكيفا (تكيفا إسلاميا) في نظام الحداثة ذي المصدر الأوربي؟

في إجابته عن هذا السؤال يقول عبد الإله بلقزيز أن المثقف المغربي ذهب في وعيه إلى الاستمرارية التاريخية للإسلام مصدرا وحيدا لتغذية منظومته وحاجاته وبالتالي الخوض في تجربة الإصلاح[37].

وبمعنى آخر الاحتفاظ بالأصل (الذي هو الإسلام)، وفي نفس الوقت الانفتاح على أوربا (الحداثة) فالإسلام يمده بفكرة الإصلاح، لكن أوربا تقدم له أدوات الإصلاح ونموذجه.

وهناك من دعى إلى الإصلاح بالاعتماد على الشرق مثل بنسعيد الذي دعي إلى إصلاح أحوال المغرب معتمدا في ذلك النموذج التونسي متحدثا عما وصلت إليه تونس في كافة المستويات نتيجة اهتمام رئيسها بشعبه ودولته، "نعم فإن تنظيم ذلك وظهور وجود النفع به متوقف على همة سيدنا ونصب أناس موصوفين بالعدالة والصدق والمعرفة والنصح..."[38].

"الإصلاح الإسلامي الحديث" عند أومليل ينطلق من وعي بخلل، ولكنه مزدوج فهو يعتقد أن ضعف المسلمين يرجع إلى الفارق الفاصل بين مجتمعاتهم وبين الإسلام ولكنه يراه أيضا في انقلاب العلاقة بينهم وبين أوربا من التفرق إلى الانحطاط[39].

فمعظم البلدان الإسلامية ومن ضمنها المغرب شهدت دعوات وحركات إصلاحية في سياق الاحتكاكات الأولى التي وقعت بين هذه البلدان وبين أوربا في السابق (ق19م) ويتميز المغرب ومن قبله الشرق، بتجربة إصلاحية تمثلت في إرسال بعثات تعليمية على دفعات إلى مختلف دول أوربا لاكتساب خبرات متنوعة بهدف تزويد البلاد بأطر إدارية وتقنية قادرة على تولي مهام الإشراف على الأجهزة الإدارية والعسكرية التي لم تعد قادرة على مسايرة الأوضاع المستجدة[40].

---

[33] –الناصري، الإستقصا، ج 1، ص: 13.

[34] – محمد السليماني، زبدة التاريخ وزمرة الشماريخ، م خ ع الرباط، ج 2، رقم 3657 د، ص: 354.

[35] – محمد السليماني، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، مطبعة الأمنية، الرباط 1971، ص: 06.

[36] – نفسه، ص: 157.

[37] – عبد الإله بلقزيز، "منطق الخطاب الإصلاحي الحديث في المغرب"، ضمن أعمال ندوة، أفكار النهضة بين الأمس واليوم من الدعوة لها إلى البحث فيها"، منتدى المعارف ط 1، 2001، بيروت، لبنان، ص: 167.

[38] – مصطفى بوشعرا، "التعريف ببني سعيد السلاويين ونبذة عن وثائقهم"، ج 2، 1991، ص: 10.

[39] – علي أومليل: "ما هو الإصلاح بمفهوم إسلامي"، ضمن ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن 19، منشورات كلية الآداب بالرباط (1986)، ص: 28.

[40] – جمال حيمر، "الإصلاح والأجانب في مغرب القرن 19، البعثات التعليمية كنموذج"، منشورات كلية الآداب بمكناس، جامعة مولاي إسماعيل، ع10،

يلاحظ أن الخطاب الإصلاحي المغربي كان يتنازعه الانفتاح والانغلاق على أوربا، فدعاة الإصلاح لم يبدوا ممانعة في الاقتباس من أوربا للقيام بالإجراءات التحديثية ولكنهم في ذات الوقت أبدوا خوفهم من النتائج السلبية التي يمكن أن تترتب عن الانفتاح على الغرب والاقتباس منه، مما جعلهم في أحايين كثيرة يظهرون نفورهم من المدنية الأوربية، والواقع أن هذا التنازع يشكل إحدى الثوابت الأساسية في الخطاب الإصلاحي العربي الإسلامي بوجه عام.

3- الإصلاح والتحديث.

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر يلاحظ أن الإجراءات التحديثية واكبها تداول عدة مفاهيم، كالاستعداد والتنظيمات والإصلاح والتي مست مختلف القطاعات سواء في الشرق العربي الإسلامي أو في المغرب، غير أن الإصلاح لم يكن يتوخى دائما بالضرورة استقدام الجديد أو التغيير[41].

ذلك لأن المفكرين في العالم العربي الإسلامي، الذين عالجوا أوضاع بلدانهم لم ينظروا إلى مسألة الإصلاح من زاوية واحدة، فالبعض أراد من الإصلاح العودة إلى الماضي الإسلامي وتجربة السلف الصالح، وعدم الالتفات إلى أوربا وفي هذه الحالة لا يثبني الإصلاح التحديث بل يعادله لأن مصدره "العدو الكافر".

والبعض الآخر لم يمانع من الاستفادة من التقدم التقني الأوربي والنظم الأوربية، واعتبر اقتباس هذه التقنيات والنظم أمرا ضروريا لمجابهة الضغوط الأوربية المتزايدة باستمرار، وبموازاة ذلك دعى هذا القسم من المفكرين إلى التحلي بأخلاق وآداب السلف الصالح ونبد البدع كشرط من الشروط الأساسية لإنجاز الإصلاح المنشود، ولذلك تمت المزاوجة بين الدعوة إلى تحديث الهياكل والمؤسسات على النمط الأوربي من جهة، والدعوة إلى تطهير المجتمع من الممارسات البدعية من جهة ثانية. ويمكن القول بناء على هذه الملاحظة أن مفهوم الإصلاح لم يحمل معنى أو مدلولا محددا ودقيقا.

وليس من شك في أن المثقفين المغاربة وعوا – مبكرا ومنذ منتصف القرن التاسع عشر– ترابط حلقات الإصلاح كما لخصها العروي، في جيش وبيروقراطية ومالية[42]، وانشدادها إلى بعضها البعض، باحثين عن تصور كامل للإصلاح، ولعل أبلغ ما يعبر عن هذا الوعي ما قاله محمد المهدي بنسودة وهو يتحدث عن تنظيم الجيش " كل واحد من تاجر وحراث ومحترف ومكتسب هو داخل في النظام، لأن تلك هي أسباب للعمارة وتكثير الأموال، فتكثر حينئذ الجباية والأعشار... فإن الأموال هي مدد جيش النظام وقوامه، إذ لولا المال مادام نظام بل ولا كان[43].

هذا الكلام يوضح مقدار الوعي الإصلاحي للمثقف المغربي بل عمق الإصلاح عنده حينما يربط بين الجيش والمال والجباية والعدل.

ولعل أول دعوة للإصلاح والتحديث ظهرت في المغرب بعد هزيمته في واقعة اسلي، على عهد المولى عبد الرحمان هي كتاب محمد بن عبد القادر الكردودي في 1851م[44] وعنوانه "كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على الأمة"، يدعو فيه إلى إعادة بناء الجيش المغربي على غرار النظام المتبع في الجيوش الأوربية الحديثة مع ما يجب أن يرافق ذلك من إصلاحات سياسية واجتماعية يقول في مقدمة كتابه: "... حملتني الحمية الدينية والغيرة الإسلامية على أن وضعت هذا الكتاب الجامع المحاسن اللباب

1996، ص: 159.

[41] – عن هذه المسألة يمكن الرجوع إلى مساهمة علي مراد ضمن ندوة "الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر"، ص: 433-436.

[42] – 264:A. laroui : Les orginines... P

[43] – انظر: محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج 1، مطبعة الأمنية، الرباط 1392هـ – 1973م، ص: 346,

[44] – محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر: الخصوصية والهوية... الحداثة والتنمية، ط 1، نونبر 1988، مؤسسة بنشرة للطباعة الدار البيضاء، ص: 137.

المشتمل على صفة الحروب وأسبابها وموجبات الظفر والهزيمة وآدابها مع ما تتوقف عليه من الشورة والعدة والشجاعة... قلت والروم لعهدنا وكذلك الترك فيما يبلغنا قصور الشورى على أربعين رجلا فلا يبرم أمر عندهم إلا إذا صدر عن رأيهم وإشارتهم وتسمى هذه الجماعة بالكرطي"[45].

وما لبثت أن ظهرت مؤلفات تدعو إلى إصلاح الأوضاع عموما ككتاب سعيد بن عبد الله الدكالي[46] وغيره، ولقد انتبه بعض الكتاب المغاربة خلال القرن التاسع عشر إلى تجربة بعض دول المشرق العربي الساعية إلى التحديث خاصة الجانب العسكري ومن تم نجد مثلا محمد أكنسوس في كتابه "الجيش العرموم" يلتفت إلى ما عند المشارقة في هذا الباب مما يسمى ب "النظام"[47] داعيا إلى الأخذ بذلك والاستفادة منه.

لقد كانت فكرة الإصلاح مشروعا يلتف حوله نخبة تحاول طرح أسئلة حول أسباب الهزيمة أو الأزمة وتبحث عن سبيل للخروج منها، لكن كيف تبلور هذا الوعي؟ وما هي مميزاته؟

هذا الوعي تبلور عبر مراحل مهدت كل واحدة منها للأخرى.

المرحلة الأولى كانت مرحلة التسليم بعد مكابرة، وعرفت هذه المرحلة انقلاب موازين القوى بين ضفتي المتوسط، ثم جاءت مرحلة التساؤل عن الأسباب الداخلية أي تلك القائمة داخل المجتمع الإسلامي، والبحث عن أسباب التخلف والهزيمة ثم جاءت مرحلة التعرف على أسباب الثورة القائمة داخل المجتمع الأوربي مجتمع الحداثة والترقي[48].

إذن ارتقت الحركة الإصلاحية من الدعوى إلى الإصلاح والاقتداء بالسلف الصالح بوسيلة النصيحة المحتشمة إلى المناداة بالإصلاح كضرورة عن طريق تجويز التحديث والتوافق الشرعي بفضل الاجتهاد التنويري في استنباط الفتوى الشرعية[49]. فإلى الانتقال بالدعوة التقوية إلى المطالبة بإعادة النظر في الأنظمة السياسية الداخلية وتحديثها بإقرار الدستور وفصل السلط وتنظيم حياة نيابية.

لذلك صار الاقتناع خلال القرن 19م بأن الخطاب الإصلاحي التقليدي لم يعد كافيا لمواجهة الطوارئ، وبالتالي لابد من الالتجاء إلى التحديث، لكن هذا الأخير كان يطرح ضرورة تجاوز التنظيمات السلفية التقليدية واللجوء إلى الابتكار والخلق[50]. فحسب جرمان عياش، يجب الالتفات إلى أن جميع تدابير الإصلاح آنذاك في المغرب الجسيمة منها أو التافهة كانت على يد الدولة وحدها إن لم تكن أحيانا على يد السلطان بصفته فردا[51]. بينما في دول أخرى لم ينجح فيها الإصلاح إلا بمشاركة طبقات ذات قوة اقتصادية كان على رأسها الطبقة البرجوازية، هذا الأمر لم يكن ليتم بالمغرب إلا بمشاركة أجنبية مما شدد الخناق على البلاد.

اللجوء إلى التحديث، قد يثير المعارضة لدى العلماء، مما حدى السلطان إلى استشارة العلماء للحصول على رخصة شرعية تمنحه حرية العمل في هذا التحديث غير أن ما يثير الانتباه هو طبيعة الأجوبة التي قدمها العلماء حول تحديث الجيش خلال القرن 19م، فقد استفسر كل من السلطان عبد الرحمان وخلفه محمد الرابع وخلفه الحسن الأول العلماء عن حكم هذا التحديث وصورته،

---

[45] – المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج 1، ص: 23، وما بعدها.

[46] – أنظر المنوني مظاهر يقظة المغرب، ج 1، ص: 355.

[47] – محمد أحميدة، الكتابة الإصلاحية بالمغرب خلال القرن التاسع عشر قضاياها وخصائصها الفنية، مطبعة دار المناهل، الرباط، ط 1، 1423 هـ 2002م، ص: 25.

[48] – مصطفى النيفر، أجوبة مغربية عن أسئلة أوربية، ضمن أعمال ندوة أفكار النهضة بين الأمس واليوم من الدعوة لها إلى البحث فيها، منشورات منتدى المعارف، ط 1، 2001، بيروت، لبنان، ص: 32.

[49] – حسن أحمد الحجوي، "العقل والنقر في الفكر الإصلاحي المغربي 1757–1912"، المركز الثقافي العربي، ط الأولى، 2003، الدار البيضاء المغرب، ص: 11.

[50] –محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، نشر افريقيا الشرق، 1991، ص: 83.

[51] – جرمان عياش دراسات في تاريخ المغرب، ط 2، 1406 هـ 1986م، الشركة المغربية للناشرين، البيضاء، ص: 346.

ولكنهم بدل أن يركزوا في أجوبتهم على الجيش وتحديثه وطبيعة هذا التحديث، ركزوا فيها على تقديم صورة عامة لتحديث الدولة بمختلف مرافقها، أي ضرورة الإصلاح الكلي للبلاد خاصة بعد الهزيمتين (اسلي وتطوان) فانكشف بذلك ضعف المغرب، وتخلفه وعجزه عن حماية نفسه، وهكذا جاءت الأجوبة التي قدموها حول تحديث الجيش عبارة عن كتب ورسائل وبحوث تمثل عروضا مفصلة هامة حول طبيعة الإصلاح والتحديث[52].

رجوع المخزن لفتاوي العلماء كلما تعلق الأمر بإقرار تحديث ما قد يكتسي طابع "البدعة"، يدل على أن المغرب في هذه الفترة كان يقف في حيرة بين إرادة الإصلاح، والمخافة من ضياع الشعائر الدينية وفقدان الهوية، وذلك من دون أن نطرح في الحسبان أن ما تحمله الإصلاحات من تنشيط للمجتمع المدني الفاعل، ومن إشاعة المبادئ الديمقراطية، كان أمرا لا يطمئن إليه الجالسون على كرسي المناصب العليا وأصحاب الثروات العظمى، خوفا من التغيير الذي قد يطيح بنفوذ بعضهم المبني على الفساد السياسي العام، أضف إلى ذلك معارضة بعض العلماء لأي تحديث.

فالإصلاح لو كان من المقدر له أن يتحقق كان لا بد أن يطال كل المؤسسات العامة، وعلى رأسها تقوية الجيش، وتطهير الأساليب الإدارية، ومضاعفة الموارد المالية، إذ على تقوية هذه المؤسسات وتحديثها يرتكز كل استقلال حقيقي للبلاد. ولكن المغرب لم يكن يفتقر للمال فحسب، بل وأيضا لإجماع كلمة الأمة على الإصلاح، خاصة أهل الحل والعقد، وهيئة العلماء بجميع اتجاهاتهم الإصلاحية، وذلك لما اتسمت به مسألة الإصلاح من عدم توافق حول مضامين الإصلاح وسبل تحقيقه، لتكون بذلك المحاولة التي قام بها المغرب خلال القرن 19م ومطلع القرن 20م لبناء دولته الحديثة نموذجا متميزا يطرح معه الكثير من التساؤلات حول الأسباب التي أدت إلى وقوع هذه الإصلاحات في هذه الفترة بالضبط وحول نوعية الإصلاحات المقترحة والتحول الحاسم الذي طرأ على بعض العقليات أنداك، وكذا إدراك قيمة الآخر الغالب، بدل البحث عن إصلاح ذاتي محض، أي أن النموذج الأوربي أصبح الآن هو المستهدف.

المبحث الثاني: مصادر الإصلاح.

يقول محمد زنيبر أن الإصلاح في مغرب القرن التاسع عشر له وجهتين: الأولى مرتبطة بالضغط الإمبريالي الذي كانت تمارسه الدول الأوربية على المغرب، هذا الإصلاح إرتاب فيه المغاربة وواجهوه بكثير من الحذر والاستنكار. أما الثاني فيتمثل في عدد من الاقتراحات[53] الصادرة عن ذوي النيات الحسنة من المغاربة لكنها كانت محدودة[54].

إن ما يسمى "الإصلاح" أو "التنظيمات" لم يكن في نظر البعض إلا آليات جديدة لجأت إليها الدولة لإعادة إحكام قبضتها على الفرد وقطع الطريق على "العدو والاستعمار الذي قد يستغله لمصلحته ضد الدولة"[55]. ففكرة تحديث الدولة بمختلف مرافقها كضرورة ملحة إثر انهزام المغرب في معركة اسلي ضد فرنسا 1844م، وفي حرب تطوان ضد الإسبان 1860م، ليكتشف بذلك ضعفه وتخلفه وعجزه عن حماية نفسه.

وهكذا فالتفكير في هذه العملية كانت نتيجة ضغط خارجي وظروف اجتماعية واقتصادية صعبة، وليس نتيجة لتطور داخلي فكري أو اجتماعي أو اقتصادي ولهذا الأمر خطورته، إذ أن الإصلاح سيتجه بنظره إلى الجانب الآخر القوي للاقتباس منه وهذا شيء جديد وقع خلال القرن التاسع عشر[56].

---

[52] – محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، تشر افريقيا الشرق، 1991، ص: 83.

[53] – هذه الاقتراحات ذكرها المنوني في مظاهر اليقظة.

[54] – محمد زنيبر: هل هناك مصادر داخلية للإصلاح: ضمن ندوة الإصلاح والمجتمع 1986، ص: 327.

[55] – عبد الله العروي: مفهوم الدولة، دار الفرابي، بيروت 1981، ص: 30.

[56] – محمد رزوق، من جدور الدولة العصرية بالمغرب محاولة بناء الدولة الحديثة خلال القرن التاسع عشر نموذجا، مجلة دراسات في تاريخ المغرب، افريقيا الشرق، ط 1، 1991، ص: 82.

إذن هاجس الإصلاح ناتج عن شعور بخطورة الأوضاع "والتذني الذاتي" في مقابل الآخر الذي بلغ تلك "الغايات وهذا التقدم في العلوم والصناعات، بالتنظيمات المؤسسة على العدل السياسي، وتسهيل طرق الثروة واستخراج كنوز الأرض بعلم الزراعة والتجارة وملاك ذلك كله الأمن والعدل اللذان صارا طبيعة في بلدانهم"[57].

يكاد يحصل إجماع بين الدراسين[58] على أن الضغوط الأوربية على مجموع العالم العربي الإسلامي، تقف بكيفية أساسية خلف الخطاب الإصلاحي العربي الإسلامي. بيد أن هناك من يمانع في الإقرار بذلك فيعتقد "أن حركة الإصلاح إذا اعتبرت من تباشير النهضة، قد جاءت تحت مفعول حركية ذاتية للفكر الإسلامي (الحركة الوهابية مثلا) وليس كرد فعل على تدخل الغرب"[59]. كما يحاول نفي واقع الانحطاط كسبب يكمن خلف الدعوة إلى الإصلاح[60]. غير أن المصلحين أنفسهم يؤكدون على أن خطابهم الإصلاحي جاء كرد فعل على تدخل الغرب في بلدانهم واحتكاكهم بالأوربيين[61]، وسيتبين حضور الغرب بقوة في الخطاب الإصلاحي المغربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر على وجه الخصوص رغم أن الأزمة كانت سابقة على هذه الفترة.

1 . المصادر الداخلية للإصلاح.

أخذ الحديث عن الإصلاح بالمغرب يتخذ حجما كبيرا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد تجسد ذلك بوضوح من خلال كثرة الكتب والرسائل والفتاوى التي خلفها المفكرون المغاربة كرد فعل على تدهور الأوضاع الداخلية بالمغرب وتفاقم هذه الأوضاع بسبب الضغوط الأجنبية.

بيد أن التدهور لم يكن وليد القرن التاسع عشر، بما أن الهياكل والمؤسسات المغربية أصابها الركود والجمود منذ أمد طويل. ويمكن اختزال بعض مظاهر أزمة المغرب في مستويات متعددة:

أ . على المستوى الاقتصادي: فالمغرب منذ القرن الخامس عشر تراجعت تجارته[62] بسبب احتلال الأوربيين لبعض ثغوره مما أثر سلبا على ازدهار الدولة، إذ بسبب انكماش التجارة القافلية مع السودان اضطر المخزن إلى فرض جبايات إضافية، وقد ساهمت مثل هذه الإجراءات في تعميق الانفصام بين المخزن والرعية، وتجسد ذلك عمليا في كثرة الانتفاضات ضد سلطة المخزن، ومسألة الجباية وما طرحته من مشاكل سابقة على القرن التاسع عشر، ولم تهم المغرب فحسب بل همت كل بلدان العالم الإسلامي ولا سيما خلال فترة الأزمة. ولم تكن إمكانية المخزن المالية جيدة بالشكل الذي كان من الممكن معه تحقيق الإصلاحات العسكرية على النحو المطلوب. وزاد استفحال مشكل الحمايات[63] من تقليل المداخيل الجبائية ومضاعفة خسائر المخزن[64]. وزاد من حدة الأزمة نتائج مؤتمر مدريد 1880م التي عززت حضور الأجانب والمحميين داخل المغرب.

---

[57] – العيواني عبد الله، في الفكر العربي الحديث السلفية والليبرالية: خطابان وموقف واحد من الإصلاح، مجلة الزمان المغربي، ع 18، ص: 33.

[58] – أنظر على سبيل المثال الدراسات التالية:

– هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، بيروت 1971، ص: 43.

– عبد الله العروي، مفهوم الدولة، ط 1، الدار البيضاء 1981، ص: 134.

– محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، ط 1، بيروت 1982، ص: 18.

– علي أومليل، الإصلاحية العربية والدولة الوطنية، ط 1، بيروت 1985، ص: 18 وما بعدها.

[59] – أبو يعرب المرزوقي، إصلاحات النهضة وعلاقاتها بالنظريات القانونية، مجلة شؤون عربية، ع 24، 1983، ص: 116.

[60] – نفسه، ص: 119.

[61] – رشيد رضا، مختارات سياسية من مجلة المنار، تقديم ودراسة وجيه كوتراني، ط 1، دار الطليعة، بيروت 1980، ص: 97-99.

[62] – حول وضعية التجارة في المغرب أنظر: سعيد جفري، النخبة وسؤال الإصلاح في مغرب القرن 19م، ضمن أعمال المنتدى المغاربي الثاني، "نخب مغاربية" المرجعيات، المسارات والأدوار"، منشورات مدى، مطبعة سوماكرام، ص: 56.

[63] – أنظر حول هذا الموضوع: الاستيطان والحماية بالمغرب، مصطفى بوشعراء، تقديم عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1984-1404هـ.

[64] – معلمة المغرب، ج 2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1410هـ/1989م، ص: 477.

وزاد من تفاقم هذه الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية تعرض المغرب للأوبئة والمساغب المقترنة بسنوات الجفاف[65]. وهو ما أثر بشكل سلبي على النشاط الحرفي والزراعي فمنذ قرون تلاحقت على البلاد، وبصفة دورية الكوارث الطبيعية التي كانت تستنزف طاقة البلاد البشرية والاقتصادية[66]. وقد تلاحقت هذه الضربات الطبيعية ابتداء من النصف الثاني من القرن 19 مسببة المجاعة خاصة كارثة 1878– 1883م[67].

ب . المستوى السياسي: يضاف إلى ذلك مشكل الصراع حول السلطة وما ترتب عنه إهدار للموارد والأرواح ولعل الصراع الذي أعقب وفاة السلطان مولاي إسماعيل[68]، ثم السلطان سيدي محمد بن عبد الله، أوضح نموذج عن معاناة المغرب نتيجة ذلك[69].

وكان المغرب إلى حدود القرن التاسع عشر يحكم بواسطة أجهزة حكومية وإدارية لا تستجيب لمتطلبات وتطورات العصر، كما كان يدار من طرف وزراء وحكام جائرين أطلقوا أيديهم في المناطق التي يديرونها كما شاؤوا، فمارسوا على الرعية الظلم والاستبداد وعبر عن ذلك الوضع عبد العزيز التمسماني خلوق بقوله: "... فإن جور الإنسان على الإنسان في مغرب القرن 19 كان عاملا آخر ساهم بنصيب لا يستهان به في إفراز نفس الأوضاع – أي الفتن والاضطرابات – ويرتبط هذا العامل بالفساد والتعفن الذي تميزت به الإدارة المغربية وقتئذ"[70].

وتأسف الناصري في كتابه "الاستقصا" على أوضاع المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن 19م التي كان يراها في نظره قد تدهورت تدهورا خطيرا على مستوى الأخلاق والاقتصاد والتجارة والعمل والمداخيل. والسبب عنده هو "ملامسة الفرنج وغيرهم من أهل الأربا للناس وكثرة مخالطتهم لهم واستشارهم في الآفاق الإسلامية فغلبت أحوالهم وعوائدهم على عوائد الجيل وجدبته إليها جذبة قوية"[71].

ج . المستوى العسكري: لم تطرأ تغيرات مهمة منذ المحاولات التي قام بها بعض السلاطين السعديين[72]، إذ تمت المحافظة على النظم الموروثة بدون إجراء ما يخل بها إلا في حالات نادرة إلى أن وقع انكسار اسلي.

د . المستوى الفكري: لم يسلم الفكر من الانحطاط فقد افتقد الابتكار والإبداع واستمر المؤلفون يجترون مضامين المؤلفات العربية الإسلامية التقليدية عن طريق الحواشي والذيول والمختصرات وقد أعطى أحد الدارسين صورة عن هذا الانحطاط فيما يتعلق بالأدب بقوله: "إن الرسائل المحررة بأسلوب مسجع بأنواع المحسنات...توضح انحطاط الأدب، لأنه متى افتقد الخلق والأصالة، اتجهت

---

[65] – عن الأوبئة بالمغرب في القرن 19 وقبله يمكن الرجوع إلى بعض المصادر والمراجع التالية:

– محمد الأمين البزاز، "تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و 19، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، سلسلة رسائل رقم: 18.

– محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر، ط 1، بيروت، 1983.

– العربي المشرفي، نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار م، خ، ع، الرباط، ك 579.

– مصطفى بوشعراء، الجوائح والقواصم، مجلة دار النيابة، ع 2، 1984، ص: 34 وما بعدها.

– Rosenberger et triki, famines et épidemies du Maroc, p : 109–175.

[66] – عبد العزيز خلوق التمسماني، "جوانب من تاريخ جبالة المعاصر"، نشر سليكي اخوان، 1996، ص: 17.

[67] – محمد الأمين البزاز، "تاريخ الأوبئة والمجاعات"، ص: 190.

[68] – حول هذا الصراع ينظر: عبد المجيد القدوري، سفراء مغاربة في أوربا 1610–1922، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 13، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص: 24 وما بعدها.

[69] – حول ذلك أنظر: الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق وتعليق وتقديم: أحمد العماري، ط 1، الرباط 1986، ص: 105–200.

[70] – عبد العزيز التمسماني خلوق، "جوانب من تاريخ..." م. س، ص: 19.

[71] – الناصري، "الإستقصا"، ج 9، ص: 208.

[72] – ما قام به السعديون من إصلاحات على المستوى العسكري أنظر: محمد حجي "تجربة الإصلاح بالمغرب في عهد السعديين 915–1012هـ/1509–1603م"، ضمن تجربة الإصلاح في المغرب، مجلة المناهل، عدد 69–70 يناير 2004.

العناية إلى تأنيق الشكل على حساب المعنى"[73].

فالدعوة إلى الإصلاح جاءت كرد فعل على تفشي البدع بالمغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والواقع أن هذا التفشي سابق على هذه الفترة، ويمكن الرجوع مثلا إلى ما ورد في نصيحة السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الأمة أواخر القرن الثامن عشر، حيث أشار إلى هذا الأمر بقوله "بلغنا ما حدث في العامة من حدوث الجهل بالتوحيد وأصول الشريعة وفروعها حتى ارتكبوا أمورا تقارب الكفر أو هي الكفر بعينه وذلك من خلو القبائل من طلبة العلم العاملين وقلة المرشد المعين"[74].

ثم النقد الشديد الذي وجهه السلطان مولاي سليمان في بداية القرن 19 إلى الممارسات البدعية كما تجسدت من خلال الاجتماع في المواسم وقد نبه المغاربة إلى ضرورة الاقلاع عنها "واتركوا عنكم بدع المواسم التي أنتم بها متلبسون"[75].

ولكن يبدو أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد انحلالا في الأخلاق أكثر من السابق[76]، وانتشارا للبدع بسبب تزايد المدعين للصلاح والتقوى، وانقياد مجموعات هائلة من الناس إليهم. ولعل ما يبرز تفاقم البدع ظهور العديد من المؤلفات التي تشنع بمرتكبيها سواء كانوا من العامة أو الخاصة.

لقد جعلت مظاهر الأزمة الإصلاح مطلبا ضروريا ومن المسائل التي تم التفكير في إصلاحها مسألة الجباية. وقد بين أحمد التوفيق أن كلمة "الترتيب" المقترنة بالإصلاح الجبائي ظهرت في الكتابات المغربية قبل القرن التاسع عشر فقد وردت في نص الزياني منذ نهاية القرن 18م "أردت أن أقول، أن هناك أمورا وقع التفكير فيها قبل ظهور الضغوط الأجنبية"[77].

يقف الباحث هنا، وهو يرى المشاكل التي كان المغرب يتخبط فيها بين الاستغراب والتساؤل: ألم يكن لدى المغاربة وعي بأحوالهم؟ ألم توجد آنذاك فكرة إصلاحية مغربية صميمة نابعة من ضمائرهم ومتجاوبة مع تمسكهم بحريتهم وكرامتهم ومتجهة إلى علاج الأدواء التي كانوا يعانون منها؟

فطن محمد زنيبر إلى أن الإجابة عن هذه الأسئلة من لدن الباحثين كانت سلبية فقالوا "بأن تلك الفكرة الإصلاحية لم توجد وطووا في الحين صحفهم بكل اطمئنان ويقين دون أن يحاولوا مواصلة بحثهم وتأملهم فأصدروا حكما اطلاقيا وشموليا بأن المغاربة كانوا مصابين بالعقم الفكري والجمود المطبق"[78].

نستنتج أن البعض سلم باليأس في الإجابة عن هذه التساؤلات معتبرا أن المغاربة آنذاك لم تكن لهم قابلية للوعي بمصيرهم ومواجهة مشاكلهم، لكن مثل هذه الأطروحات لا تجسد الواقع الحقيقي للشعب المغربي، فهذا الأخير بالفعل برهن في أكثر من مناسبة عن وعي بوضعيته والمشاكل التي تواجهه، غير أننا ما زلنا في حاجة إلى مزيد من الأبحاث لتوضيحها والتقاطها من المصادر الغميسة والتي أشار إلى البعض منها الأستاذ جرمان عياش في مجموعة أبحاثه التي نشرها بعنوان "دراسات عن تاريخ المغرب".

وهذا لا يحول دون القول بأن الدعوة إلى الإصلاح بقيت ضمن القوالب القديمة بعيدا عن التحديث، بما أن نفود القوى الأوربية لم يكن قد بلغ من البأس وقوة الاختراق ما وصل إليه في القرن التاسع عشر، وبالأخص في النصف الثاني منه. ولذلك نجد أن أولئك الذين نادوا بالإصلاح لم يطرحوا مسألة الأخذ أو الاقتباس من أوربا، ويمكن الاستدلال على ذلك مثلا بما طرحه أبو علي

---

[73] – محمد الأخضر، الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية، ط4، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء، ص: 397.

[74] – عبد الرحمان بن زيدان، "اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس"، تحقيق: علي عمر، ج 3، الرباط 1931، ص: 216.

[75] – أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق: عبد الكريم الفلالي، نشر وزارة الأنباء 1969، ص: 467.

[76] – ورد عند محمد بن علي الدكالي السلوى "وقد أصبحنا في هذه الأعوام بعد ختام المائة الماضية يبكي من حالنا على غاية ما يكون من قلة الحياء والمروءة... والتغفل في الأمور الدينية... وانضم لذلك المجاهرة بالمناكر... ويشاهد هذا الحال كبراؤنا فلا ينكرون..." الإتحاف الوجيز، تحقيق مصطفى بوشعراء، منشورات الخزانة الصبيحية، سلا 1986، ص: 44.

[77] – أحمد التوفيق، لقاء على هامش ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، صحيفة البلاغ المغربي، ع 49، 1983، ص: 12.

[78] – محمد زنيبر، هل هناك مصادر داخلية للإصلاح، ضمن ندوة الإصلاح والمجتمع 1986، ص: 328.

الحسن بن مسعود اليوسي على السلطان مولاي إسماعيل في مذكرته[79].

ونلمس الدعوة إلى الإصلاح في إطار تقليدي من خلال منشور السلطان مولاي سليمان بشأن تفشي البدع حيث يعتبرها سبب الغمة التي يعاني منها المغرب، انطلاقا مما هو متواتر عن السلف من أن "البدع والمناكر إذا فشت في قوم أحاط بهم سوء كسبهم، وأظلم ما بينهم وما بين ربهم، وانقطعت عنهم الرحمات، ووقعت فيهم المثلات، وشحت السماء، وسحبت النقما، وغيض الماء، واستولت الأعداء وانتشر الداء، وجفت الضروع، ونقصت بركة الزروع"[80].

فحدوث المساغب والأوبئة والجفاف وهجوم الكفار وغيرها يقترن بتفشي البدع، ويكون الخروج من الغمة في تجنب الممارسات البدعية والعودة إلى ما كان عليه السلف الصالح، "فهذه سنة السلف وطريقة صالحي الخلف، فمن قال بغير طريقهم، فلا يستمع، ومن سلك غير سبيلهم فلا يتبع"[81].

يتبين أن حضور أوربا في الخطاب الإصلاحي وقتذاك لم يكن واردا ما دامت قوتها لم تكن قد تكسرت بشكل نهائي بعد، خصوصا وأن المغرب لم يكن منفتحا على أوربا بالقدر الذي كانت عليه بلاد إسلامية أخرى مثل الشام ومصر، ولعل هذا ما جعل أحد الدارسين يتحدث عن تأخر اقتباس المغرب من أوروبا، "فقد شغلته أحداثه السياسية وما عاناه من اضطراب داخلي عن الإفادة مما أصاب الشرق العربي، والشيء الوحيد الذي يمكن أن يذكر هو محاولة إحياء إسلامي تقليدي على يد المولى سليمان"[82].

إن ما دعا إليه المولى سليمان، نجد له استمرارية في النصف الثاني من القرن التاسع بموازاة مع الدعوة إلى التحديث، ويتبين ذلك من خلال ما خلفه مفكرون مثل أحمد المرنيسي ومحمد بن المدني كنون وأحمد الناصري وغيرهم.

2. المصادر الخارجية للإصلاح.

مما سبق استنتجنا أن الأزمة سابقة على القرن التاسع عشر لكن النصف الثاني من هذا القرن شهد استفحالها بوثيرة سريعة[83]، بفعل اصطدام المغرب بالمد الإمبريالي الأوربي الذي فرض عليه ضغوطات متنوعة عسكرية ودبلوماسية ومالية فيما بينها من حيث التأثير السلبي على المغرب.

مواجهة المغرب للأوربيين خلال القرن التاسع عشر تولدت عنها انعكاسات عميقة وخطيرة جعلت التفوق الأوربي على جميع المستويات أمرا لا مراء فيه. ولعل أبرز مثال على ذلك مطلع القرن التاسع عشر هو إلغاء السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام للجهاد البحري، "فإنه لما أراد إحياء هذه السنة – أي الجهاد – صادف إبان قيام شوكة الفرنج ووفور عددهم وأدواتهم البحرية وصار الغزو في البحر يثير الخصومة والدفاع والتجادل"[84].

---

[79] – أنظر هذه المذكرة عند: أحمد الناصري، "الإستقصا"، ج 7، ص: 82 وما بعدها، هذه المذكرة ضمت ثلاث محاور:

– جباية المال وطرقها على الوجه الشرعي

– إعلان الجهاد وشحن الثغور بالأسلحة والرجال.

– إقرار العدل الشامل برد الحقوق إلى أهلها، وإنصاف المظلوم من الظالم والتنديد بالبدع.

[80] – أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، الرباط، 1967، ص: 469.

[81] – نفسه، ص: 468.

[82] – نقولا زيادة، الفكر العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ضمن كتاب "الفكر العربي في مائة عام" بيروت 1967، ص: 8.

[83] – عن أزمة المغرب في القرن التاسع عشر ينظر:

– جرمان عياش، دراسات في تاريخ المغرب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الطبعة الأولى، الرباط 1986، ص: 79-120.

- Miège J.L." Le Maroc et l'Europe 1830-1894 ".

- Laroui A. l'Histoire du maghreb, T2, P : 90-97.

- Laroui A. Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, p 237. etc.

-Ben othman M.L. Emprunts extérieurs et souvrainté nationale au Maroc précolonial, p:8- 13.

[84] – الناصري، الإستقصا، ج 9، ص: 25.

هذا التفوق الأوربي سيعزز مع احتلال فرنسا للجزائر[85]. بل إن المغرب أصبح يخضع لترتيبات لا تتوافق مع الشرع، ومن ذلك تطبيق الحجر الصحي، "ومن هذه المهمات ما قد لا يساعد عليه الشرع أو الطبع مثلا الكرنثينات، وما يترتب عليها إلى غير ذلك مما فيه هوس كبير"[86].

وتحت ضغط القوى الأوربية أخذ المغرب يتنازل شيئا فشيئا عن حقوقه، كتنازله عما كانت تؤديه إليه بعض الدول من إتاوات، إذ "دعت المصلحة الوقتية السلطان رحمه الله إلى أن أسقط عن جنس الدنمرك وجنس السويد ما كانا يؤديانه إلى الدولة العلية كل سنة"[87]. ولتكون النتيجة المترتبة عن تلك الضغوط محاولة الرجوع إلى حالة الانطواء والانكماش "ولعمري إن تركه – الجهاد في البحر – لمصلحة كبيرة لمن أمعن النظر فيها، وما يعقلها إلا العالمون"[88].

استطاعت إذن القوى الأوربية أن تخترق المغرب على جميع المستويات وتجعله منفتحا أكثر رغما عنه بدءا من معركة اسلي 1844م[89]، والاتفاقية التجارية 1856م مرورا بحرب تطوان 1859–1860م، ومؤتمر مدريد 1880م، وصولا إلى مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906م، والانتهاء بعقد الحماية 1912م. فأوروبا القوية بمكتسباتها التقنية والمادية والحربية وبمقوماتها الثقافية والتنظيمية كذلك، كانت سيدة الموقف تملي إرادتها دون معارضة فعالة أو محاولة الوقوف في طريقها[90].

لقد أظهرت هزيمة المغرب في معركة اسلي وتطوان عجزه عن مقاومة أوربا سيما من دولة صغير كإسبانيا، وشعرت البلاد أنها إذا لم تشمر عن ساعد الجد فإنها ستصير لقمة سائغة للغزاة[91].

فهذه الهزائم وما تبعها من معاهدات واتفاقيات جائرة وضعت المغرب تحت رحمة الأجانب وتكالب القوى الغربية[92]، مما جعل المفكرين المغاربة يطالبون بضرورة إدخال النظم الأوربية ومستحدثاتها التقنية بقصد مجابهة ذلك التفوق والحد من المد الأوربي، وهنا نستطيع القول بأن معركة "اسلي" كانت بجانب حرب "تطوان"، بداية للنهضة المغربية الجديدة، وبداية بواكير للحركة السلفية بالمغرب الحديث، إذا اعتبرنا أن الاتصال بالمغرب كان الدافع لدعاة هذه الحركة كي يعترفوا بنقائصهم ويفتشوا عن مكان القوة والعز

---

[85] – نفسه، ص: 26.

[86] – ن، م، ص: 26.

[87] – ن، م، ص 53.

[88] – الناصري م، س، ص 26.

[89] – كانت وقعة إسلي أول صدمة تلقاها الجيش المغربي فوق تراب بلاده بعد أن فقد هيبته العسكرية التي ظلت مرهوبة منذ ما يزيد على القرنين، وأصبح لأول مرة تحت تهديد مستمر لاستقلاله وخصوصا بعد النكبة الثانية وهي نكبة تطوان 1860.

في هذا الصدد قائلا:Miègeوذكر المؤرخ الفرنسي

« ce qui s'est effondré a Isly c'est plus qu'un corps d'armée la répitition militaire du Maroc depuis plus de 2 siècles nulle intervention armée européenne qui ne soit terminée par echec.

وحول هذه المعركة أنظر:

– محمد بن أحمد أكنسوس، الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي، الجزء 2، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ص: 28.

– Charles andré Julien, « le Maroc Face aux imperialismes », p: 29.

وبحث محمد زنيبر المعنون ب:

– Mimorial du Maroc, la bataille d'Islys t4.

[90] – مصطفى الشابي، محاولات الإصلاح والتجديد على عهد السلطان المولى الحسن، ضمن ندوة "أضواء على تاريخ تافيلالت"، الدورة العاشرة، جامعة مولاي علي الشريف الريصاني، وزارة الثقافة، ص: 201.

[91] – جرمان عياش، جوانب من الأزمة المالية في المغرب بعد حرب 1860، مجلة البحث العلمي العدد الرابع والخامس، السنة الثانية يناير/غشت 1384–85هـ/1965م، ص: 133.

[92] – محمد الغساني الأندلسي، الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية 1902، حققها وقدم لها عبد الرحيم مودن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص: 18.

التي حطموها في حضارتهم، ويقتبسوا من الغرب ما هم في حاجة إليه[93]. وهذا شيء جديد في الخطاب الإصلاحي المغربي، ذلك أنه قبل القرن التاسع عشر لم تكن مقايسة واقع الانحطاط بالمغرب تتم بالنسبة للغرب، بل بالنسبة للماضي الإسلامي فقط، وهذا أمر يمكن أن يعمم على مجموع الفكر الإصلاحي في العالم العربي الإسلامي قبل الاصطدام بالغرب وهو ما نعته علي أومليل بالإصلاح الإسلامي القديم[94]. تمييزا له عن الإصلاح الإسلامي الحديث، الذي جاء كرد فعل على الاصطدام بالغرب[95].

الدعوة إلى الاقتباس من الغرب الأوربي والأخذ من حداثته هو وعي بتقهقر مزدوج إزاء الماضي الإسلامي وأروبا معا، لذلك لم يعد الإسلام المصدر الوحيد للإصلاح والتحديث وإنما أصبح الغرب كذلك إطارا إضافيا لهذا الإصلاح.

الإقرار والتقهقر أمام أوربا جسده اعتراف الكردودي بقوله: "فلما وقع التغلب من أعداء الدين على بعض بلادات المسلمين واشتدت شوكتهم في هذا العصر وصاروا لما يرومونه أسبابا يرتكبونها... تعين على من جاورهم من أهل الإسلام أن يكونوا من أمرهم على بال يسارعون إلى مزيد من الأهبة والاستعداد"[96].

هذا الاستعداد الذي يدعو إليه الكردودي لا يمكن أن يتحقق إلا بالاقتباس من الغرب سواء لتحديث الجيش أو غيره من القطاعات وهو أمر سلم به المفكرون المغاربة، والحقيقة أنه وحينما نتحدث عن عجز المخزن فإننا نعني الجهاز ككل وما ضعف السلطان أمام الدول الأجنبية، إلا صورة لضعف الجهاز المخزني برمته بأساليبه وأدواته لذلك وجب الأخذ بأسباب التقدم الأوربي.

نفس الأمر نجده عند مفكر آخر اقتنع بضرورة الاقتباس من الغرب "... وإذا كان أصل العمل مأخوذا عن العجم، فليجتهد المعلم الحاذق في تعريبه"[97].

بل الأكثر من ذلك هناك من جعل الاقتباس شرطا أساسيا وضروريا للاستعداد[98]. وهذا اعتراف ضمني بالتفوق الأوربي، وقد صاحب الدعوة إلى الاقتباس من أوربا، انبهار بما تحقق من مخترعات هناك، على نحو ما ورد عند محمد المشرفي "حتى أن كل من كان له عقل سليم يخشى عليه من اختلاله بمشاهدة تلك العجائب لعدم قبول العقل دخولها في الإمكان لولا مشاهدته لها بالعيان"[99]، واعتبر السليماني أن العلم هو الذي مكن الأوربيين من القوة والتفوق لأنهم "هرعوا إلى تدريس العلوم الرياضية والطبيعية أدت بهم إلى الاختراعات الوقتية والمستنبطات الصناعية ... فمن كان الآن أكثر علما كان أشد قوة"[100].

كانت التدخلات الأجنبية خلال القرن 19م وبداية القرن 20م من أهم وسائل وآليات تآكل السيادة الوطنية[101]، لكنها في نفس الوقت كانت تزكي بالفعل الحضور القوي للتأثير الأوربي في الخطاب الإصلاحي المغربي، هذا الحضور الذي كان واضحا في المدن الساحلية التي عرفت احتكاكا بالأوربيين فأنجبت رجالا نادوا بأفكار جديدة مقتبسة من الفكر الأوربي لذلك كان هذا التأثير حاضرا في الخطاب الإصلاحي المغربي، وقد لاحظ العروي ذلك خلال حديثه عن التأثيرات الأجنبية[102].ومن بين هؤلاء الأفراد الذين عبروا عن

---

[93] – عبد المجيد الصغير، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18–19 أحمد ابن عجيبة ومحمد الحراق، ج ا، ط اا، 1415ه/1994، منشورات دار الآفاق الجديدة، ص: 75.

[94] – علي أومليل، الإصلاحية العربية والدولة الوطنية، ط 1، دار التنوير، بيروت 1985، ص: 13 وما بعدها.

[95] – نفسه، ص: 21.

[96] – أحمد الكردودي، التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الإسبنيولية، ط 1، المطبعة الملكية، الرباط 1963، ص: 107.

[97] – الناصري، الإستقصا، م.س، ص: 107.

[98] – محمد السليماني، اللسان المعرب، م.س، ص. ص:06 – 171.

[99]– محمد المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق: ادريس بوهليلة، ط2، 2005، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، ص:402. أنظر كذلك: محمد الطاهر الفاسي، الرحلة الإبريزية، ط ا، 1967،

[100]– السليماني، اللسان المغرب، م. س، ص: 134.

[101]– عبدو امحمد، مؤتمر الجزيرة الخضراء وانعكاساته على الأوضاع المغربية، ضمن أعمال الدورة التاسعة لجامعة مولاي علي الشريف الريفية (السلطان مولاي عبد الحفيظ)، وزارة الثقافة والاتصال، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني.

[102] – LAROUI, A: les origines, p: 211.

آراء جديدة وينتمون إلى المدن الشاطئية والمناطق المتاخمة لها مثل: أحمد الناصري[103]، إبراهيم التادلي[104]، أبو شعيب الدكالي[105]، وعلي زنيبر السلوي[106].

كما أن علم الدول الأوربية برغبة المخزن القيام بإصلاحات (عن طريق جلبه لبعثات أجنبية) جعلهم يحرصون على استغلال أي فرصة لاستعراض ما بلغته دولهم من تقدم في الميدان العسكري والتقني، بهدف احتواء هذه الرغبة وتوجيهها وجهة تخدم مصالحهم، من هنا كان مأزق الإصلاح الرسمي في منتصف القرن التاسع عشر الذي يجد تعبيره في الدراسة التي وجد فيها المخزن والمتمثلة في التناقض التالي: لم يكن بمقدور المخزن مقاومة الضغوط التي تمارسها الدول الأجنبية إلا بتقوية جهازها الدفاعي وإصلاحه، ولم يكن بالإمكان تحقيق هذا الإصلاح إلا باللجوء إلى أوربا والاستعانة بخبراتها[107]. من هذه الزاوية يمكن تقدير دور التدخل الأجنبي كمصدر خارجي في الإقدام على هذه الخطوة الإصلاحية.

وتمدنا المصادر بشهادات دالة على تبني السلطان محمد بن عبد الرحمن عدة مشاريع شملت ميادين مختلفة، وأهم ما يستوقف الباحث في هذه المشاريع هو الاعتماد الكلي في إنجازها على الخبرة الأوربية، وفي عهد السلطان الحسن الأول الذي واصل أعمال الإصلاح التي شرع فيها أبوه ازداد حجم الاستعانة بالخبراء الأجانب[108]. بل تعداه إلى استقدام بعثات عسكرية أوربية بكاملها بدأت تفيد على المغرب. واستنادا إلى التقارير والمصادر الأجنبية ذاتها[109]، لم يعد خافيا الدور الحقيقي لهذه البعثات التي تحولت إلى جماعات ضغط داخل الجهاز المخزني حيث كان أعضاء كل بعثة يحرصون على جمع المعلومات التي تخص الوضعية السياسية والعسكرية التي تمر منها البلاد من جهة، وجمع معلومات تهم تحركات ونشاط البعثات الأخرى لمعرفة مدى نفوذها لدى السلطان من جهة ثانية.

---

[103]– أنظر ترجمته في كتاب الإستقصا، ج1، ص: 9-34، أنظر كذلك: محمد الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج2، ط: 1977 ص: 308-309 + عبد الله الجراري، من أعلام الفكر السياسي المعاصر بالعدوتين، ج2، ط1، مطبعة الأمنية الرباط، ص:11-14. ليفي بروفنصال، مؤرخوا الشرفاء، تعريب: عبد القادر الخلالي، الرباط، ص: 253-262.

[104]– توفي سنة 1893. أنظر ترجمته عند: عبد الله الجراري، شيخ الجماعة أبو إسحاق التادلي الرباطي، ط1، الدار البيضاء 1980.

[105]– أنظر ترجمته عند عبد الله الجراري، المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ط 2، الدار البيضاء 1979.

[106]– أنظر ترجمته عند محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج2، بيروت 1985، ص: 399-401.

[107] – Julien (charles andré), HASSAN 1er et la crise marocaine au XIX siècle in Les africains, Tome III, ed, J.A.P: 245.

– Laroui .A. les origine …, P: 263-304.

[108]– ابن زيدان (عبد الرحمن)، العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية، الرباط، 1962.

[109] –doutte (edmon), des moyens pour développer l'influence française au maroc – premiére partie – analyse générale, d'influence paris 1909.

– taillandier (S,R), les origines du maroc français 1901, 1906, paris 1903.

– miége (J,L), un mission française à marrakech en 1822, publication du annales de faculté des lettres. Aix – en provence, Tom III, pp: 233-234, et tom IV, pp: 107-109.

خاتمة

الدعوة إلى التحديث لم تلغ الأفكار التي ترى ضرورة العودة إلى الماضي الإسلامي، فقد استمرت تلك الأفكار في أوساط المفكرين الذين يعادون أوربا معاداة مطلقة، ويمانعون في الأخذ من مدنيتها، بل يرفضون أي شكل من أشكال التعامل معها باعتبارها دار حرب وكفر، تأسيسا على قوله تعالى، محذرا من ذلك {ولا تركنوا إلى الذين كفروا فتمسكم النار}[110] وكانوا يعتبرون أن الإسلام مكتف بذاته في عملية الإصلاح إذ "أنه لا يكمل لهذه الأمة أمرها ولا يستقيم عزها وفخرها إلا بإتباع السنة المحمدية وإقامة حدود الشريعة الأحمدية[111] لذلك انقسمت "النخبة"[112] في تعاملها مع الحداثة من خلال الغرب المتطور إلى فئتين:

فئة محافظة ترى في الحداثة مرادفا للكفر والفساد. وفئة متفتحة ترى في الخارج، بشكل مباشر أو غير مباشر، مكانا للاستفادة.

مجمل القول، إذا كان الوضع المتأزم للمغرب قد تطلب التفكير للخروج من الغمة وإصلاح هذا الوضع فإن الضغط الأوربي الذي فاقم الأزمة الداخلية للبلاد، وأبان عنها بوضوح، جعل مطلب الإصلاح أكثر إلحاحا مما يعني تفاقم عاملي الأزمة الداخلية والضغط الأوربي في انبثاق الخطاب الإصلاحي المغربي.

ويتم التمييز داخل هذا الخطاب بين خطاب إصلاحي تقليدي سابق على استفحال الضغط الأوربي، وخطاب إصلاحي ينادي بالتحديث اقترن بروزه بتفاقم ذلك الضغط بعد أن تأكد التفوق الأوربي.

---

[110]– قرآن كريم، سورة هود الآية: 112، وقد فسر بعض الفقهاء الركون إلى الظالمين بأنه "...متناول الانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم ومجالستهم ومرافقتهم في الأسفار وغيرها، وزيارتهم ومداهنتهم والرضى بأعمالهم والتزين بزينتهم والتشبه بأقوالهم وأفعالهم... واستعمالهم أمراء ووزراء، واتخاذهم أعوانا وأنصارا وتوليتهم على شيء من أمور المسلمين..." أنظر مثلا: جعفر بن إدريس الكتاني، جواب علماء فاس عن كتاب السلطان مولاي الحسن، م،خ،ع، الرباط رقم: 1119، ص: 112.

[111]– جعفر بن إدريس الكتاني، م، س، ص: 113.

[112]– لا يمكن اعتبار النخبة تيارا إصلاحيا منسجما وإنما مجموعة أفكار إصلاحية تخضع للمد والجزر، أنظر محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر الخصوصية والهوية، الحداثة والتنمية، بنشرة للطباعة والنشر، 1988، ص: 17.

–doutte (edmon), des moyens pour développer l'influence française au maroc – premiére partie – analyse générale, d'influence paris 1909.

–Charles andré Julien, « le Maroc Face aux imperialismes (1415 – 1956)», paris 1987.

– Julien (charles andré), HASSAN 1er et la crise marocaine au XIX siècle in Les africains. Tom III. Ed. J.A.

–Laroui A. l'Histoire du maghreb, T2, Un essai de synthèse. Paris 1970.

–Laroui A.: Les orgines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 – 1912).paris 1977. Et centre culturel arabe. 2 Ed . 2001 .

–Merad A, La dualité réformisme – modernisme, actes du colloque « réformisme et societé marocaine au 1978.

–Miége (J,L), un mission française à marrakech en 1822, publication du annales de faculté des lettres. Aix – en provence, Tom III, pp: 233–234, et tom IV.

–Miège J.L." Le Maroc et l'Europe 1830–1894." Presses universitaires de France. 1961. T4.

–Rosenberger et triki, famines et épidemies du Maroc.

–taillandier (S,R), les origines du maroc français 1901, 1906, paris 1903.

– Ben othman M.L. Emprunts extérieurs et souvrainté nationale au Maroc précolonial

– Merad A, Islah, Encyclopédie de l'islam, T4, 2 Ed, moisonneuve Larose, paris 1978 .

قائمة بأهم المصادر والمراجع

– قرآن كريم.

– ابراهيم بوطالب، إستخلاصات عامة عن مفهوم الإصلاح في القرن التاسع عشر، ضمن ندوة الإصلاح والمجتمع، المغربي في القرن التاسع عشر، كلية الآداب بالرباط، ما بين 20 و23 أبريل 1983، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1986.

– إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط 2، 1994، الدار البيضاء.

– ابن زيدان (عبد الرحمن)، العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية، الرباط، 1962.

– أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق: عبد الكريم الفلالي، نشر وزارة الأنباء 1969.

– أبو يعرب المرزوقي، إصلاحات النهضة وعلاقاتها بالنظريات القانونية، مجلة شؤون عربية، ع 24، 1983.

– أحمد التوفيق، لقاء على هامش ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، صحيفة البلاغ المغربي، ع 49، 1983.

– أحمد العماري، نظرية المواجهة والتحديث في خطاب الاستعداد ضد التغلغل الأوربي عند علماء المغرب في القرن التاسع عشر.(رسالة لنيل الدكتوراه في التاريخ).

– أحمد الكردودي، التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الإسبنيولية، ط 1، المطبعة الملكية، الرباط 1963.

– أحمد الوارث، "محاولة المولى اليزيد العلوي إرساء طبائع ملك جديد في البلاد"، ضمن تجربة الإصلاح في البلاد، مجلة المناهل، ع 69-70 يناير 2014، مطبعة دار المناهل.

– أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ، ج 1، 7 9، ط 2 ، دار الكتاب الدار البيضاء.

– أديب إسحاق، الكتابات السياسية والاجتماعية، جمعها وقدم لها ناجي علوشي، ط1، دار الطليعة، بيروت 1978.

– الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق وتعليق وتقديم: أحمد العماري، ط 1، الرباط 1986.

– العباس بن ابراهيم السملالي، الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج7، المطبعة الملكية الرباط. 1979.

– العربي المشرفي، نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار م، خ، ع، الرباط، ك 579.

– العيواني عبد الله، في الفكر العربي الحديث السلفية والليبرالية: خطابان وموقف واحد من الإصلاح، مجلة الزمان المغربي، ع 18.

– عبد الله الجراري، المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ط 2، الدار البيضاء 1979.

– تركي علي الربيعو، قراءة في النسق السياسي والفكري لرواد عصر النهضة، السنة الثالثة، ع 32/31 نيسان (أبريل/ أيار (مايو)1987، شعبان/ رمضان 1407هـ.

– ثريا برادة، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.

– جرمان عياش، دراسات في تاريخ المغرب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الطبعة الأولى، الرباط 1986.

– جعفر بن إدريس الكتاني، جواب علماء فاس عن كتاب السلطان مولاي الحسن، م،خ،ع، الرباط رقم: 1119.

– جلال أحمد أمين، المشرق العربي والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، حريزان 1980، بيروت.

– خالد بن الصغير، "المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر (1856-1986)" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل واطروحات رقم 94، مطبعة النجاح الدار البيضاء، ط2، 1997.

– خير الدين التونس، مقدمة أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك. تحقيق معن زيادة. ط 1، دار الطليعة، بيروت 1978.

– رشيد رضا، مختارات سياسية من مجلة المنار، تقديم ودراسة وجيه كوتراني، ط 1، دار الطليعة، بيروت 1980.

– عبد الإله بلقزيز، "منطق الخطاب الإصلاحي الحديث في المغرب"، ضمن أعمال ندوة، أفكار النهضة بين الأمس واليوم من الدعوة لها إلى البحث فيها"، منتدى المعارف ط 1، 2001، بيروت، لبنان.

– عبد الرحمان بن زيدان، "اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس"، تحقيق: علي عمر، ج 3، الرباط 1931.

– عبد العزيز خلوق التمسماني، "جوانب من تاريخ جبالة المعاصر"، نشر سليكي اخوان، 1996.

– عبد الله الجراري، شيخ الجماعة أبو إسحاق التادلي الرباطي، ط1، الدار البيضاء، 1980.

– عبد الله الجراري، من أعلام الفكر السياسي المعاصر بالعدوتين، ج2، ط1، مطبعة الأمنية الرباط.

– عبدو امحمد، مؤتمر الجزيرة الخضراء وانعكاساته على الأوضاع المغربية، ضمن أعمال الدورة التاسعة لجامعة مولاي علي الشريف الريفية (السلطان مولاي عبد الحفيظ)، وزارة الثقافة والاتصال، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني.

– علي أومليل: "ما هو الإصلاح بمفهوم إسلامي"، ضمن ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، كلية الآداب بالرباط، ما بين 20 و23 أبريل 1983، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1986.

– ليفي بروفنصال، مؤرخوا الشرفاء، تعريب: عبد القادر الخلالي، الرباط.

– محمد بن أحمد أكنسوس، الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي، الجزء 2، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش.

– محمد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق: محمد عمارة، ج2، ط1، بيروت، 1972.

– محمد أحميدة، الكتابة الإصلاحية بالمغرب خلال القرن التاسع عشر قضاياها وخصائصها الفنية، مطبعة دار المناهل، الرباط، ط 1، 1423 هـ 2002م.

– محمد الأخضر، الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية، ط4، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء.
– محمد الأمين البزاز، "تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و 19، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، سلسلة رسائل رقم: 18.
– محمد السليماني، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، مطبعة الأمنية، ط 1، الرباط 1971.
– محمد الغساني الأندلسي، الرحلة التتويجية إلى عاصمة البلاد الإنجليزية 1902، حققها وقدم لها عبد الرحيم مودن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
– محمد المشرفي: "الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية"، م،خ،ع، بالرباط D1463.
– محمد المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق: ادريس بوهليلة، ط2، 2005، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية.
– محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج 1، مطبعة الأمنية، الرباط 1392هـ – 1973م.
– محمد بن علي الدكالي السلوي، الإتحاف الوجيز، تحقيق مصطفى بوشعراء، منشورات الخزانة الصبيحية، سلا 1986.
– محمد رزوق، من جدور الدولة العصرية بالمغرب محاولة بناء الدولة الحديثة خلال القرن التاسع عشر نموذجا، مجلة دراسات في تاريخ المغرب، افريقيا الشرق، ط 1، 1991.
– محمد زنيبر: هل هناك مصادر داخلية للإصلاح، ضمن ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، كلية الآداب بالرباط، ما بين 20 و23 أبريل 1983، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1986.
– محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر: الخصوصية والهوية... الحداثة والتنمية، ط ،1 نونبر 1988، مؤسسة بنشرة للطباعة الدار البيضاء.
– مصطفى الشابي، محاولات الإصلاح والتجديد على عهد السلطان المولى الحسن، ضمن ندوة "أضواء على تاريخ تافيلالت"، الدورة العاشرة، جامعة مولاي علي الشريف الريصاني، وزارة الثقافة.
– مصطفى النيفر، أجوبة مغربية عن أسئلة أوربية، ضمن أعمال ندوة أفكار النهضة بين الأمس واليوم من الدعوة لها إلى البحث فيها، منشورات منتدى المعارف، ط 1، 2001، بيروت، لبنان.
– مصطفى بوشعرا، "التعريف ببني سعيد السلاويين ونبذة عن وثائقهم"، ج 2، 1991.
– مصطفى بوشعراء، الاستيطان والحماية بالمغرب، تقديم عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1984–1404هـ.
– ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، كلية الآداب بالرباط، ما بين 20 و23 أبريل 1983، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1986.
– نقولا زيادة، الفكر العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ضمن كتاب "الفكر العربي في مائة عام" بيروت 1967.
– عبد المجيد القدوري، سفراء مغاربة في أوربا 1610–1922، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 13، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
– محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، نشر افريقيا الشرق،الطبعة الأولى، 1991.
– عبد الله العروي: مفهوم الدولة، دار الفرابي، بيروت 1981.
– محمد الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج2، ط: 1977 .
– هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، بيروت 1971.
– محمد الطاهر الفاسي، الرحلة الإبريزية، ط ا، 1967،
– جرمان عياش، جوانب من الأزمة المالية في المغرب بعد حرب 1860، مجلة البحث العلمي العدد الرابع والخامس، السنة الثانية يناير/غشت 1384–85هـ/1965م.
– حسن أحمد الحجوي، "العقل والنقر في الفكر الإصلاحي المغربي 1757–1912"، المركز الثقافي العربي، ط الأولى، 2003، الدار البيضاء المغرب.
– محمد حجي "تجربة الإصلاح بالمغرب في عهد السعديين 915–1012هـ/1509–1603م"، ضمن تجربة الإصلاح في المغرب، مجلة المناهل، عدد 69–70 يناير 2004.
– محمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار، "المجتمع والدولة والدين 1792–1822"، ترجمه عن الانجليزية محمد حبيدة، ط1، 2006، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
– محي الدين صابر ، مجلة الوحدة، ع 1، 1980.
– محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، ط 1، بيروت 1982.
– محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر، ط 1، بيروت، 1983.
– محمد السليماني، زبدة التاريخ وزمرة الشماريخ، م خ ع الرباط، ج 2، رقم 3657 د.
– معلمة المغرب، ج 2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1410هـ/1989م.
– مصطفى بوشعراء، الجوائح والقواصم، مجلة دار النيابة، ع 2، 1984.
– عبد المجيد الصغير، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18–19 أحمد ابن عجيبة ومحمد الحراق، ج ا، ط اا، 1415هـ/1994، منشورات دار

الآفاق الجديدة.
– جمال حيمر، "الإصلاح والأجانب في مغرب القرن 19، البعثات التعليمية كنموذج"، منشورات كلية الآداب بمكناس، جامعة مولاي إسماعيل، ع10، 1996.
– سعيد جفري، النخبة وسؤال الإصلاح في مغرب القرن 19م، ضمن أعمال المنتدى المغاربي الثاني، "نخب مغاربية" المرجعيات، المسارات والأدوار"، منشورات مدى، مطبعة سوماكرام.
– علي التسولي، جواب على سؤال الأمير عبد القادر، م،خ ،ع، الرباط ،D1198 ورقة: 158–159.
– علي أومليل، الإصلاحية العربية والدولة الوطنية، ط 1، دار التنوير، بيروت 1985.
– عثمان أشقرا، سوسيولوجيا الخطاب الإصلاحي بالمغرب (1907–1934).
– ألبرت حوراني، الفكر العربي عصر النهضة 1798 – 1939، ترجمة: كريم عزقول، ط 3، 1977م، دار النهار، بيروت.
– هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، ط 2، 1978، دار النهار بيروت.
– عبد الله العروي، مفهوم الدولة، ط 1، الدار البيضاء 1981.
– علي أومليل، الإصلاحية العربية والدولة الوطنية، ط 1، بيروت 1985.
– عثمان أشقرا، "في سوسيولوجيا الفكر المغربي الحديث"، ط 1، 1990 الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة.
– جرمان عياش دراسات في تاريخ المغرب، ط 2، 1406 هـ 1986م، الشركة المغربية للناشرين، البيضاء.
– مجلة كلية الآداب (فاس)، ع2، "خاص"، 1985.
– مجلة دار النيابة (طنجة)، ع1، 1984.
– مجلة كلية الآداب (الرباط)، ع8،ع9، 1982.